من الضفة الاخرى

# اوغست شترندبيرغ... السويدي المناوئ للنساء

بيتر غروبه
ترجمة/ قاسم مطر التميمي

عندما تعرف اوغست شترندبيرغ في ايار سنة ١٨٧٥ على الممثلة (سيري فون اسن) التي صارت زوجته فيما بعد، كان عمره انذاك ستاً وعشرين سنة. ففي روايته التي تحكي سيرته (محاكمة مجنون) كتب يصف افتتانه بها : (جمالها ملأني اجلالا لها، حتى وفر في ذهني اني اتطلع الى صورة مقدسة في كنيسة، لقد احببتها جدا).

غير ان الرواية انتهت بعد مائتي صفحة بحملة غاضبة للاديب السويدي على مساواة المرأة بالرجل: ( على السادة المدعين ان يفطنوا الى العواقب الوخيمة التي ستلحق بهم اذا ما منحوا الحقوق المدنية الكاملة لاشباه القردة والكائنات الحية الوضيعة والصبايا المريضات اللاتي يحضن ثلاث عشرة مرة في السنة يصاحبهن المرض والخبل ويعتريهن الجنون التام خلال الحبل ولا يتحملن مسؤولية تصرفاتهن فيما بقي من حياتهن اللواتي يرتكبن الجرائم دون وعي منهن هذه الحيوانات الشريرة)؟.

ان بغض النساء الذي ينسب لهذا الاديب والكاتب المسرحي الكبير الذي ما زالت مسرحياته تعرض بنجاح منقطع النظير حتى يومنا هذا، مثل مسرحية (الانسة جولي) و (قصة الموت) و (لعبة حالمة) ما هي الا اسطورة ولكن اسبابها اتضحت بعد تسع وستين سنة على وفاته، عندما نشرت سيرته الكاملة. مؤلفها (اولوف لاغركرانتس) الذي عمل مدة طويلة رئيسا لتحرير الصحيفة السويدية اليومية (داغنز نهيتر) . Dagens Nyheter لم يهتم بتحليل الاعمال الادبية للكاتب المسرحي وانما اهتم بحياة انسان ازدحمت يوم دفنه كل المنظمات العمالية السويدية، رافعة الرايات الحمر لتكريم اول مناضل ادبي رائد من اجل الاشتراكية ، كان ثوريا وبطريركيا في الوقت نفسه، عالما طبيعيا ومتنبئا بالغيب محباً للنساء ومبغضاً للاناث!

عندما تعرف (شترندبيرغ) على (سيري فون اسن) كانت متزوجة من ضابط في حرس البارون (كارل جوستاف فرانجل) ينتمي الى اسرة سويدية عريقة. وكان الاديب قد كتب حينها مسرحية تدور احداثها عن علاقة بين بارونة جذابة و (ابن خادمة) كما ذكر ذلك في سيرته الذاتية، ولم تكن امه خادمة بل كانت ربة ربيت. ولم يكن هو ابناً غير شرعي كما كان يزعم –كان ابوه سمسارا بحريا يكسب الكثير من عمله، ارسله الى (اوبزالا) ليدرس الادب في جامعتها. غير انه قطع الدراسة فيها بعدد ان اجتاز ستة فصول دراسية وجرب ان يكسب عيشه كممثل على المسرح، واضطر الى ان يعمل معلما وصار صحفيا، وكتب اخيرا المسرحيات والروايات. مسرحياته الاولى جلبت له الشهرة غير انه لم يحصل منها على نقود. كابد حياة الفقر وسحرته الافكار الاشتراكية كما سحرته (سيري).

و (سيري) التي لم تكن راضية عن زواجها من سليل اسرة نبيلة، ضئيل الشأن، بدين، محدود الذكاء، يخونها مع ابنة عم له اصغر منها سنا، سمحت لنفسها ان ترتمي في احضان عاشق وديع خجول ودود، يعمل صيدلانيا وصنع لتوه اسما ذائعا في الصحافة والادب.

صور (شترندبيرغ) علاقته بالبارونة بعد ثلاثة عشر عاما من خلال مسرحيته التراجيدية (الانسة جولي). وهي تروي قصة انسة من اسرة نبيلة فسخت خطبتها من ند لها لتعقد خطبتها على خادم تلد منه طفلا. وبطلة المسرحية تشبه من وجوه عدة الزوجة الاولى للاديب : ( تتطفل على الانوثة، شبيهة بالشاب اليافع، لا تتراجع، وانما تتميز بفاعلية ونشاط).

من الاسباب التي جعلت (شترندبيرغ) يواجه الجنس الانثوي بالشك والريبة، تعلقه الكبير بامه التي توفيت عندما كان عمره ثلاثة عشر عاما. ففي (ابن خادمة) تكلم بوضوح قائلا: (اشتياقه الى امه رافقه حتى نهاية حياته.. لم يكن هو ذاته.. لقد اصبح نباتا متسلقا لا بد له من دعامة يستند اليها).

وفي بحثه عن مثل هذه الدعامة حلم (شترندبيرغ) دائما بـ (قديسة جميلة) لتصبح زوجته واما لاطفاله، وتمنحه اللذة والمتعة بعيدا عن دنس المومسات.

روح (سيري) التي احبها وجعل من غرفة نومها محرابا يؤدي فيها طقوس عبادة جنسية. ويلحق بها عارا، فعندما تزوج (شترندبيرغ) المرأة المطلقة سنة ١٨٧٧ كانت حبلى منه في شهرها السابع. والطفل الذي ولد (مبكرا) ابعد عن الانظار خوفا من الفضيحة.

وكان الاديب (شترندبيرغ) حريصا على الانتماء الى (النخبة الممتازة) في المجتمع. وانجبت (سيري) له بعد ذلك ثلاثة اطفال.

بعد سنتين من الزواج نشر الاديب البالغ من العمر ثلاثين سنة اول رواية كبيرة له (الغرفة الحمراء) التي احرزت نجاحا جماهيريا واسعا. وتصور الرواية بصراحة غير معهودة في ذلك الحين الحياة البوهيمية في مجتمع ستوكهولم. والخطة الناجحة التي اتخذها (شترندبيرغ) : انه صور نفسه، وما حدث له، اصدقاءه، نساءه، على نحو شخصي جدا، تماما كما رآى واحس.

كان اكبر منافسيه (هنرك ابسن) Henrik Ibsen الذي كانت كتاباته تتركز على المشاكل الاجتماعية وتحرير المراة. اما (شترندبيرغ) فقد دون كل ما يتعلق بشخصه، فقد اصبح كل شيء ما حدث في حياته وكل ما شعر به ، ادبا رسم الكثير من ذلك وصوره من جانب واحد. الخطأ فيه ليس نادرا. ولكنه عاشه حقيقة.

اراد الزوجان (شترندبيرغ) ان يلعبا دورا في المجتمع، وحملا نفسيهما اكثر مما يطيقان. وصار (شترندبيرغ) ينفق النقود باستمرار اكثر مما يكسب، لكي يدعو اصدقاءه ويثير اعجاب معارفه. وتراكمت عليه الديون. وفي مجال الادب ايضا تجاوز عن كل حد. ففي رواياته وقصصه ومسرحياته هاجم اصدقاء له بشكل سافر وجعل منهم اضحوكة، وقد سبب له هذا عداوات شخصية كثيرة. واستبعدت نصوصه المسرحية من على خشبة المسرح. وواجهت كتبه واعماله الادبية حملات نقد شعواء، هرب الى الخارج وتنقل من مكان الى مكان. وحملات النقد والتهجم لم تتوقف، ومجموعته القصصية (الزواج) ساقته الى المحكمة بتهمة الكفر بالله. وبرأته المحكمة غير ان الناشر خشي ان يطبع كتبه. وبدأت حياته الزوجية بالتصدع، وهو من دفع (سيري فون اسن) الى ان تخون زوجها معه بدا الشك ينخر في دماغه ما اذا كانت تخونه الآن كما خانت زوجها السابق. وها هو (تمثال المراة القديسة) يتحطم.

مسرحية (الاب) التي حققت لـ (شترندبيرغ) اول واكبر نجاح مسرحي، كانت بمثابة صورة شخصية للكاتب، الذي شك بأبوته لابنته، واضرمت امرأته الشك في رأسه حتى دفعته الى الجنون.

وبعد خمس سنوات من العرض الاول للمسرحية طلق (شترندبيرغ) زوجته وبعد سنة واحدة من ذلك تزوج ثانية من النمساوية (فريدا اوول) التي كانت تعمل صحافية في برلين، وذلك في الثاني من ايار سنة ١٨٩٣م. وقاما برحلة سياحية الى باريس وبعد عام واحد على زواجهما ودعته في الشارع بقبلة ساخنة وعناق ومضت على رسلها دون ان تلتفت للوراء، ولم يرها بعد ذلك ابدا.

وكما حصل عند انفصاله عن ٠سيري فون اسن) كذلك كانت ردة فعل (شترندبيرغ) ايضا في الطلاق الجديد مع المسرحيات والروايات، فرواية –الانا (الجحيم) inferno تصور تمزقه الداخلي على نحو يخالف ظنون النقاد الذين صحوا مرارا بان الكاتب يعاني من انفصام الشخصية. ولكن الاديب البالغ من العمر خمسين سنة لم يكن معترفا به في باريس وبرلين وكوبنهاغن حسب وانما في بلده السويدي ايضا.

فمسرحيته السوريالية الغامضة (نحو دمشق) شهدت اول عرض لها سنة ١٩٠٠ في ستوكهولم، حيث رفضت اغلب مسرحياته بعنجهية في السابق.

في اثناء التدريبات المسرحية تعرف (شترندبيرغ) على الممثلة النرويجية (هاريت بوسه) وفي سنة ١٩٠١ صارت زوجته الثالثة والاخيرة. واخذت اخباره الادبية السارة التي تدور مضامينها حول حوادث شخصية عاشها تنمو وتكبر في اثناء ذلك. وما لبث الكاتب ان هرب قبل بزوغ الفجر بعد اول مشاجرة زوجية واستأجر لنفسه غرفة فوق السطوح، وانجبت (هاريت) للكاتب بنتا ايضا فصار ابا لاربع بنات. وفي ١٨/ نيسان/ ١٩٠٤ حصل على الطلاق من زوجته الثالثة.

بعد نصف عام من ذلك نشر (شترندبيرغ) مقالا تناول فيه طبيعة العلاقة بين الرجل والمرأة، ذهب فيه الى القول بان الزوجة المحبة تميل الى جذب الرجل والتحكم به واخضاعه وتدمير قوته الخلاقة، فقال : ( حب المرأة، حسب التحليلات الاخيرة، ينطوي على خمسين بالمائة طلب التلقيح وخمسين بالمئة حقد، وهذا يثير الاستغراب غير ان الامر كذلك).

عندما مات (شترندبيرغ) في ستوكهولم سنة ١٩١٢ كان رجلا مشهورا ولكنه كان وحيدا واخر ما نقل عنه قوله : ( منذ عقود والكلام لا ينقطع عن هذه المساواة اللعينة الداعية الى تحرير المرأة، المرأة التي تتكلم ولا تعمل، التاريخ مليء بالامثلة عن رجال مضطهدين ثاروا من اجل حريتهم. النساء يتكلمن فقط. وهذا ما يصيبني بالجنون، انني اغوص في عملي الى الاعماق واخرج الى السطح ثانية بعد نصف سنة حاملا بيدي مسرحيتين ورواية وخمس عشرة مقالة ثم اجد ان الاناث ما زلن هنا يتحدثن في الصالونات نفسها. هل قتلن احدا من مضطهديهن؟ اليست السجن بالمرصاد؟ هل نظمن شغبا او ضجة؟ اليس الدماء تلطخ الجران؟ كلا.. القردة لا تكف عن الرغاء، هل يبادرن الى اخذ حريتهم عنوة؟ اذن سأوليهن كل اجلال واحترام، وعلى الفور).

## سيناريو صوري

ضياء احمد عبد الرزاق

١

العيون ذات الحدقات الملونة احاطت به من كل مكان
الاصابع الحديدية تمتد اليه

ظل المارد الكبير جاثما فوق صدره

يحاول الهروب تمسكه يد الساحرة العجوز من قد مه
يحاول الفكاك

لاخلاص

يرتدي عباءته ويقرر الطيران من الطابق العاشر

٢

بكاء الاطفال في كل مكان

بكاء

هدوء

يزداد البكاء

قلت هدوء

عواء

رجاء هدوء

لاخلاص

هناك تذكر فان كوخ

فقدم اذنيه الى اول سيارة اوساخ

٣

انه يحاول منذ مطلع العام الثالث

ان

يترك

التدخين
حسنا يكفيه انه قد حاول

يكفيه شرف المحاولة

لا

يستطيع
لاخلاص
قرر ان يأكل كل سكائر العالم

٤

يتفحص اسنانه حالما بالحصول على مليون دولار
اه لقد فقد هذا السن قبل عشر سنوات

سوف اشتري قصرا

اما الاسنان الامامية فقد فقدها قبل الهروب الاخير من البلاد
سوف ادعو البنت اللعوب في العمل الى سهرة عشاء ثقيل
الطواحن ومنهم من قال الضوارس فقد اكلتها يد طبيب الاسنان
وبعد السهرة سوف اعطيها رقم الهاتف

النابان نساهما في احدى الدول العربية

لا خلاص

يجب ان استدين من صديقي الشاعر
لتركيب طقم اسنان كامل

## بيت زجاجي في اسبانيا

## مشاهد عتيقة

الجدران كارتونية
تخترقك الاصوات في مكانك
وانت لا تستطيع تحريك يدك لتطرد
الذباب
الذباب في كل مكان
طنين
الطنين يغتصب السكون
سكون وطني
في قفصك البلاستيكي تتأمل
ها

## تقلد التأمل

ماذا
تحاول ان تتأمل
قف
ما الذي يريده الباب مني؟
الحك لعبة للتسلية
بل لعبة لكل الوقت
حل لكل الوقت
وانت مستمر بالحك تتذكر وجه حبيبتك
العشق حكة كبرى اولاده القيح والدمامل

## ممرات ضيقة

الحقيقة تعبر المحيطات
عارية
توقف! هل تعتقد نفسك الحقيقة؟
عذرا
اقصد نفسي (او انا) عبر المحيطات باحثا
عنها
عنها... التي... قالت
عذراً للمرة الثانية لا استطيع نطقها
قلتها في ممرات الضحك كثيرا
قلتها وانا اتبول
الذاكرة
على الذاكرة اتبول
انا اتبول عليها

من (عذرا) للمرة الالف
آه
لقد واعدتها ان لا اقول
عذرا ابدا
والان اقولها الاف المرات
عذرا
للذاكرة البيضاء
عذرا للوجوه الضاحكة التي غادرتها
عذرا للجميلة التي لم تحبني
وعذرا لاني احببتها بجنون
عذرا ... لم احبها بجنون
بل عشقتها بجنون
وعذرا لاني غادرتها بلا وداع
❖❖❖

نلتقي في ممرات ضيقة
ونفترق عند الغرف البلاستيكية
ونلتقي في غرف كارتونية
ومرة اخرى من يعلم ربما
بعد الف عام نتذكر تلك الوجوه التي
التقيناها في مكان ما

# نظرية الموضة والحداثة، قيمة الناتج مع المحسوب

علي بدر

إن الموضة أو الزي هو بلاغة اجتماعية وسياسية وثقافية أيضا، ولا تعبر المرأة عن نفسها معياريا إلا عبر بلاغة الموضة والتي تقدم الدرجة القصوى من أنوثتها، حيث تحاول أن تطابق صورتها مع نموذج عارضة الأزياء أولا، ثم تطابق صورتها مع ممثلات السينما، ثم مع فتيات الإعلانات، ثم تطابق صورتها مع النساء المحيطات بها، وبعد ذلك تحاول أن تجد ما يربط بين صورتها وبين النثر العالي الذي تقدمه مجلات الموضة مثل" "بوردة"، و"سيدتي"، و"الأناقة" وغيرها...ويمكننا عبر النظر إلى الزي بوصفه سلسلة من العلامات، أن نقرأ لا العلامات فقط إنما نقرأ السياق الاجتماعي والثقافي أيضا، فالزي يبين على نحو أكيد وحاسم أن الشخص الذي يجلس أمامنا غني أم فقير، بدوي أم حضري، فلاح أم عامل، ويمكننا كذلك أن نقرأ عبر الزي سياقا سياسيا كاملا: فالملابس في الصين الشيوعية غير الملابس في روسيا السوفياتية، وهي غيرها في أميركا أو فرنسا، وهنالك الملابس الفلكلورية التي تميز كل شعب من الشعوب والتي تتطابق أحيانا مع المناخ أو مع العادات الدينية أو الثقافية الخ. ولكن ما هو مؤكد أن الغرب ومنذ بدايات القرن التاسع عشر عمم نموذجه الازيائي بشكل كامل على العالم، فلم تعد الملابس الغربية حصرا على الغرب إنما تراها من أقصى أفريقيا إلى أقصى آسيا، من أمريكا اللاتينية إلى القطبين، لقد تقهقرت جميع الملابس الفلكلورية أمام القميص والجاكيت والبنطلون والتنورة والفستان والحقائب الجلدية، والتي تتغير كل عام تقريبا، وهذا ما جعل كل الشعوب تلاحق الغربيين بالموضة طالما إنهم لا يستطيعون ملاحقتهم بالصناعة.

لقد دخلت الملابس الغربية إلى العراق في القرن التاسع عشر، فالشاكردان وهو مفهوم وظيفي بيروقراطي في الدولة العثمانية كان يرتدي ملابس مميزة ويضع على رأسه القاووق، وبعد أن تخلت الدولة العثمانية عن القاووق لصالح الطربوش بقي استخدامه في بغداد زمنا، ولم تهيمن البذلة ذات التصميم الأوربي والطربوش إلا منتصف القرن التاسع عشر، وتحول هذا الزي إلى علامة سياسية تقابل العقال والعمامة، بل تحول الطربوش من مفهوم وظيفي بيروقراطي-لأن الموظفين هم الذين كانوا يرتدونه- إلى علامة سياسية بارزة، ولا سيما بعد الصراع الضاري بين العلمانيين ورجال الدين أثر الانقلاب العثماني.

يكشف الزي في الدولة الحديثة عن سياقين مضمرين، السياق الاجتماعي وهو القيمة المادية لمبادلته، ثمنه، نوع صناعته، وعن سياق سياسي، فعبر الزي تعرف الماهية السياسية العامة للدولة الحديثة: علمانية، دينية، شيوعية، الخ.. وهذا ما جعل الملك فيصل يفكر بتوحيد العراقيين- بعد أن وجدهم يرتدون أزياء مختلفة-من خلال السدارة (وهي قبعة سوداء شبيهة بالبيرية الأوربية) فهي وسيلة لتوحيد الأمة عن طريق علامة مميزة، وقد تضمنت أيضا محمولا خفيا، فقد مثلت بيروقراطية الدولة الملكية وجمهورها، وفضلا عن إنها كانت مرتبة اجتماعية وظيفية، كانت معبرة عن نسق سياسي معين.

كانت نهاية الحرب العالمية الثانية إيذانا بتحول حضاري شديد في العالم، فقد حلت الحضارة الأميركية بقيمها ذات الطابع السريع والعملي محل الحضارة الغربية البيتورسكية والديكورية والمعقدة، وبدلا من نموذج البذلة والكرفاط طرحت الحضارة الأميركية نموذجها، الجينز الذي كان يرتديه راعي البقر، والقميص الخفيف والقمصلة أو السويتر الجلدي، والحذاء الذي يشبه البسطار، إن هذا التحول الحضاري يتضمن قيمة سياسية جديدة، هو انتصار الحضارة الجديدة، سياسيا واجتماعيا أولا، ثم انتصار القيمة العملية للشخصية الأميركية العصامية ذات البساطة العارية.

في الثلاثينيات أرادت أمانة العاصمة أن توحد ملابس (الحوذيين) العربنجية في بغداد، وبدلا من اليشماغ أبو اللوزة (اليشماغ المنقوش بالأسود) الذي اشتهر العربنجية بلفه على رؤوسهم، والمعطف الكاكي الذي يرتدونه فوق الدشداشة (كانوا يتدفأون به حتى في الصيف!) أمرتهم بارتداء البدلة الرسمية (الجاكيت والبنطلون)، و (السدارة) على الرأس، فأضافت أسيادا جددا للمجتمع، وقد أصاب اليهود مربحا كبيرا من ذلك القرار، فقد جمعوا من السوق جميع السدايرالقديمة وباعوها على السادة الجدد، بل إن هذا الأمر شجع بعض صناع الأحذية (القندرجية) على تحوير أحذية النساء (البوابيج) المصنوعة من قماش قريب من قماش السدايرإلى سدايرجديدة ولكن بأشكال مختلفة غير متقنة للسادة الجدد، جعلت البغداديين يسمونها مازحين بالمشحوف أو الطابية وهي القارب الكبير.

المهم كانت أوامر أمانة العاصمة قاسية، ولكن هذا الأمر لم ينفع في التغيير الجذري، إذ أخذ العربنجية يرتدون يشماغ (أبو اللوزة) تحت السدارة، والدشداشة فوق البنطلون، ويرتدون أيضا المعطف العسكري الذي اشتهروا به فوق الجاكيت، وهكذا تكتمل صورتهم الهوميرية مع السوط الأسود الطويل الذي يسوقون به الخيل، وراحت أحلام أمانة العاصمة هباء بعد أن تصوروا أنهم سوف يجعلون من بغداد أجمل بتسمية العربنجي حوذيا، وباللابس يشماغ أبو اللوزة سيدا جديدا، وكانوا يتصورون أن العربنجي سيضع البايب الإنكليزي في فمه بدلا من السجارة اللف...أمام هذا التحدي الخطير غيرت أمانة العاصمة فكرتها وأرادت أن تستلهم التراث العربي والفكر العربي في تقديم نموذج أفضل للعربنجي في بغداد، وبدلا من السدارة والبذلة الأوربية أمرتهم بارتداء الخوذة العربية على رؤوسهم، تشبه خوذ المحاربين العرب القدماء، وبسبب ارتفاع أثمان هذه الخوذ، وقلة وجودها انتشرت صناعتها المحلية عن طريق تحوير (طاسات الخبز) وأصبحت أشكالها وألوانها مختلفة على رؤوس السادة الجدد، والأمر الثابت الذي لم يتغير إنهم أخذوا أيضا ارتداء يشماغ أبو اللوزة تحتها، والبعض الآخر حور اليشماغ فوق طاسة الخبز التي وضعها على رأسه وقدم نموذجا جديدا لا تشبهه الطاسة ولا اليشماغ، وبهذا حصلت أمانة العاصمة على عربدة أزيائية أخطر من الأول، فتخلت عن فكرتها، ولكن العربنجية لم يتخلوا عنها فقد اشتروها بفلوس وتعودوا عليها، وصار كل واحد منهم يرتدي ما يصرف له وعلى هواه، سدارة محورة من حذاء سيدة مصنوع من القماش، طاسة خبز على شكل قبعة، بينما كان اليشماغ أبو اللوزة هو القاسم المشترك مع الجميع.

الواقع إن ما يحيرني حقيقة هو متى تنطبق النظريات علينا، لكي يخرج الناتج متوافقا مع ما هو محسوب، متى نفهم الحداثة في واقع الأشياء لا بأهام الأشياء وهوامشها...أليست أوضاعنا اليوم تشبه هذه العربدة القديمة...واليشماغ أبو اللوزة هو قاسمها المشترك!؟